اثر الاستعمار الفرنسي في الحياة السياسية بدول وسط افريقيا
(ما بين ١٩٤٦ – ١٩٦٠م)

الدكتور/ إبراهيم برمة أحمد

محاضر متخصص في التاريخ المعاصر بجامعة الملك فيصل بتشاد

البريد الالكتروني : abouahmatibrahim@gmail.com

ملخص البحث :

لقد شكلت بداية الحياة السياسية في تشاد مرحلة جديدة من مراحل كفاح الشعب التشادي من أجل وضع حد للحكم الاستعماري المباشر ، وتحقيق المشاركة الحقيقية في اتخاذ القرار وصولا للاستقلال الوطني ، كما أن المصالح الاستعمارية الفرنسية في تشاد تركت أثار واعاقت عملية التطور السياسي واوقفت عملية البداية الاعتيادية للحياة السياسية في تشاد .

تكمن أهمية البحث في معرفة أثار المستعمر في الساحة السياسية عامة والأحزاب السياسية التشادية بصفة خاصة ومن خلال هذا البحث سنوضح ما إذا كان المستعمر قد ترك شيء يستفاد منه ؟ أم أنه ترك إرث لابناءه؟.

ويهدف البحث إلي دراسة تاريخ الحياة السياسية ، وأثر الاستعمار الفرنسي في بداية الحياة السياسية وكيفية العمل السياسي والتنظيمي للجماعات والأفراد.

يحاول البحث الاجابة عن الاسئلة التالية :

ـــ هل بداية الحياة السياسية في تشاد مرحلـــة جديدة من مراحل التطور؟

ـــ هل الاحتلال العسكري في تشاد أوقف عملية التطور السياسي أم ماذا؟.

واتبع البحث المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي لدراسة الموضوع ، تناولت الورقة ثلاثة مباحث ومطالب وخاتمة فيها النتائج والتوصيات.

Abstract :
The beginning of political life in Chad marked a new phase of the Chadian people's struggle to put an end to direct colonial rule, and to achieve true participation in decision-making, leading to national independence, and the French colonial interests in Chad left traces and impeded the process of political development and halted the normal beginning of life. Politics in Chad.

The importance of the research lies in knowing the effects of the colonizer in the political arena in general and the Chadian political parties in particular, and through this research we will clarify whether the colonized has left something to benefit from? Or did he leave a legacy for his children?

The research aims to study the history of political life, the impact of French colonialism at the beginning of political life, and the way of political and organizational work for groups and individuals.

The research tries to answer the following questions:

Is the beginning of political life in Chad a new stage of development?

Did the military occupation in Chad halt the political development process, or what?

The research followed the historical method and the descriptive analytical approach to study the topic. The paper dealt with three topics, demands, and a conclusion with results and recommendai.

المبحث الأول : منهج الاستعمار الفرنسي

لقد اتبع المستعمرون عدة أساليب أثناء استعمارهم للقارة الإفريقية ، وحتى تكون القارة في أيديهم عملوا على التخطيط السليم والمدروس من أجل تحقيق تلك الغاية ،فقد استخدموا أبشع الأساليب اللاإنسانية وسنتناول في هذا المبحث بعض تلك الأساليب .

أولاً: المنهج السياسي : استخدم المستعمرون هذا الأسلوب لتنظيم حركة الاستعمار حتى لا يصطدم بعضهم ببعض، وذلك بتنظيم مؤتمرات وهي على النحو التالي:

١ـــــــــ مؤتمر برلين: عقد مؤتمر برلين في ١٥نوفمبر١٨٨٤م وحتى ٢٦فبراير ١٨٨٥م وذلك لتنظيم وتوزيع العملية الاستعمارية ، عقد المؤتمر في المانيا وقد سعى بسمارك زعيم المانيا الي عقد هذا المؤتمر الدولي في برلين لبحث مسألة الكنغو والمشاكل المتعلقة بها ،وقبلت الدول التي تضاربت مصالحها في المنطقة هذه الدعوة ، حضر المؤتمر مندوبو ١٤دولة وهي : انجلترا – فرنسا– المانيا – ايطاليا – البرتقال – بلجيكا – اسبانيا – النمسا – روسيا– الولايات المتحدة الأمريكية – تركيا – الدنمارك – السويد – هولندا .

وكان جدول أعمال المؤتمر يتضمن النقاط التالية :[1]

أـــ وضع حد للتنافس على حوض نهر الكنغو.

ب ـــ وضع قواعد عامة لتقسيم القارة الأفريقية .

ج ـــ حماية مصالح الدول الأوربية في المنطقة.

وبعد المناقشة والمداولة التي استمرت ٤ يوما ،اتخذ المؤتمر ٣٨ قراراً منها مايلي :

أـــ حرية الملاحة في حوض نهر الكنغو.

ب ـــ حرية التجارة في حوض نهر الكنغو.

ج ـــ حرية الدول في امتلاك أجزاء من إفريقيا.

د ـــ الاعتراف بملكية الجمعية الدولية لمناطق الكنغو.

ه ـــ إلغاء تجارة الرقيق والعمل على القضاء عليها.

[1] عبد الرزاق ،عبد الله عبد الرزاق ، وآخر، تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها ،مرجع سبق ذكره ،ص١٥٤.

وعقب معاهدة برلين عقدت اتفاقيات أخرى منفردة لتقسيم الأراضي الإفريقية ،وتنظيم الحدود ، وإزالة الأسماء الإفريقية القديمة واستبدالها بأسماء الرحالة والملوك الأوروبيين، والدول المستعمرة ولذلك لم يطل العام الأول من القرن العشرين الا وكانت هذه الدول قد أتمت تقسيم القارة الإفريقية ، وهكذا عن طريق سياسة المكر والخداع استطاعوا أن يسيطروا على القارة الإفريقية بأسرها .[1]

٢ ـــــ مؤتمر بروكسل ١٨٩٠م:

انعقد مؤتمر بروكسيل الذى جدد وأيد قرارات مؤتمر برلين ولكن ذهب إلي أبعد من ذلك حيث وضعت افريقيا على طاولة المفاوضات وقسمت إلي مناطق نفوذ بين الدول الأوروبية على النحو التالي [2]:

١ــ أصبحت الكنغو دولة الكنغو الحرة في أغسطس سنة ١٨٨٥م أي بعد ستة أشهر من المؤتمر مستعمرة بلجيكية .

٢ــ استولت كل من بريطانيا وفرنسا على مساحات كبيرة من إفريقيا بفضل إمكانياتها البحرية والبرية وتسليحهم .

٣ــ احتفظت البرتقال بمستعمراتها في موزمبيق وانقولا رغم أنها أضعف الدول الأوربية.

٤ــ استولت المانيا على الكامرون والتوغو لاند وجنوب غرب إفريقيا ومساحات في شرق اسيا .

٥ــ احتفظت اسبانيا بمناطق نفوزها في ريوموني والصحراء الاسبانية {الصحراء المغربية الأن } بالإضافة ألي الجزر المجاورة للسواحل الإفريقية .

٦ــ أيدت بريطانيا في احتلالها لمصر واريتريا وكذلك حمايتها على الحبشة والجدير بالذكر أن ايطاليا منيت بهزيمة من الأحباش في معركة عدوة سنة ١٨٩٦م .

٧ــ لم تجد فرنسا منطقة نفوز في الكنغو والنيجر ولذلك ركزت جهودها في ساحل العاج وداهومي والسنقال .

---

[1] الجمل ،شوقي الجمل ،تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها ، مكتبة الانجلو المصرية،١٩٧١م ،،ص٥٥و٥٦

[3] موسى ، فيصل محمد ، موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة ،١٩٩٧م ، ص٣٤

٨ــ أيدت الدول استقلال سيراليون (التي كانت تحت الحماية البريطانية) ،وليبيريا (التي كانت تحت الحماية الأمريكية).

ثانيا: منهج المعاهدات : استخدم المستعمر هذا الأسلوب الدنئ من أجل خدمة مصالحه في المنطقة فقد وقعت الممالك الإسلامية الثلاثة التي قامت في تشاد ضحية تلك المعاهدات .

ـــــ في مملكة كانم الإسلامية وقعت فرنسا اتفاقية مع أليفة (زززتى) سلطان كانم بعد اختلافه مع أخيه على السلطة فاستنجد بالقوات الفرنسية وكانت هذه الحملة مكونة من ١٦٠ جندياً مستخدمة الجمال والخيول والمدافع . مما سهل احتلال كانم [١]،لأن المستعمر من سماته الواضحة الغدر وجلب المصالح بأي أسلوب كان.

ـــــ في مملكة باقرمى الإسلامية طلب الفرنسيون عقد معاهدة تحالف بينهم وبين السلطان عبد الرحمن قورنق الثانى سلطان باقرمي بتوقيع اتفاقية حماية ضد رابح بن فضل الله وكان لهذه الاتفاقية التأثير المباشر لاحتلال تشاد بعد أن غدر الفرنسيون بقورنق .

ـــــ وفي مملكة وداي اتجه(آدم أصيل) إلي الفرنسيين بسبب خلاف نشب بينه وبين دود مرة سلطان وداي في وقته ،فقد ساعد الفرنسيون (آدم اصيل)من عام ١٩٠٢م ونصبوه على السلطة عام ١٩٠٩م ،ولاشك أن هذا التصرف ضعف المقاومة الوطنية [٢]،في تلك الفترة وأدى إلي احتلال البلاد.

وكما هو معلوم أن الأوربيين لا عهد لهم ولا ميثاق ولذا نجد أن فرنسا نقضت كل المعاهدات التى أجرتها مع الممالك الإسلامية التشادية ومن الظاهر لمتتبع تلك المعاهدات أنها ليست إلا جزء من المناهج التي استخدمها الفرنسيون لاحتلال تشاد.

ثالثا: المنهج المسلح: بعد أن خطى المستعمر الخطوات السابقة استطاع أن يتعرف على المنطقة معرفة جيدة من النواحى الحربية (الأسلحة والجيش) فاعد قوة عسكرية متفوقة على قوة المنطقة في العدد والعُــد د.

---

[١] الماحي،عبد الرحمن عمر،تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال،مرجع سبق ذكره،ص ١٣٦.

[١] .نور ، محمد زين محمد،الاستعمار الفرنسي واثره على الشخصية الإسلامية في تشاد، رسالة ماجستير، (جامعة افريقيا العالمية ،السودان) مطبعة جامعة إفريقيا العالمية،،ص٨٨.

كلفت الحكومة الفرنسية (بول كرامبيل) بهذه المهمة العسكرية ،والجدير بالذكر ان كرامبيل ولد في تانس بفرنسا عام ١٨٦٤م وقام بعدة رحلات استطلاعية الي افريقيا الاستوائية ،ونظراً لمعرفته السابقة بالمنطقة اختارته لجنة افريقيا الفرنسية على رأس البعثة التى اوفدتها لإكتشاف المنطقة الواقعة بين الكنغو بحيرة تشاد ،للقيام بعقد معاهدات مع رؤساء القبائل التقليديين ،وقد وصل كرامبيل بقواته التى تبلغ حوالى ٦٠٠ رجل من السنقاليين المسلحين بنحو ٣٠٠ بندقية من طراز ١٨٤٢ إلي منطقة اوبانقى شاري ،وبالقرب من منطقة كوتى لقى مصرعه من قبل رجال محمد السنوسي حاكم المنطقة[1] ، وبعد أن لقى بول كرامبيل مصرعه عينت الحكومة الفرنسية ضابط البحرية اميل جانتى لاستكمال مهمة البعثة .

في عام ١٨٩١م تأسس في كارنو بمنطقة اوبانقى شاري أول مركز استطلاعي فرنسي ، ومن هذا المركز تحرك النقيب {كلوزل ،ومساعده ماستير } نحو بحيرة تشاد ،حيث اجتازا الخط المائى الفاصل بين نهرى بنويه والكنغو حتى وصلا الي كويكار التى تقع على نهر الأوهام أحد روافد نهر الكنغو.

وبعد أن جمع كلوزل المعلومات اللازمة ،وتعرف على الطرق المائية المؤدية الي بحيرة تشاد وطبيعتها ، عاد الي كارنو ورفع تقريراً الي الحكومة الفرنسية ،فصدرت الأوامر الي قائد البارجة النقيب بريتونى ومساعده الملازم براون بالتوجه الي منطقة تشاد ،ومتابعة احتلال أراضيها للربط بينها وبين شمال افريقيا والكنغو والنيجر .

فقام النقيب بريتونى بعده برحلات في الفترة مابين عامى ١٨٩٤م و١٨٩٩م ،والي جانبه قام إميل جانتى بنشاط مكثف في المنطقة عقد خلالها عدة معاهدات مع الزعماء التقليديين.٢

وصل إميل جانتى من فرنسا الي الكنغو في عام ١٨٩٥م على رأس بعثة اوبانقي شاري وقد تحرك من برازا فيل في نفس العام متجها إلي بحيرة تشاد على السفينة (ليون بلوت) وكان يرافقه ثلاثة من الفرنسيين ومترجم جزائرى وخمسون من السنغاليين المسلحين

[1] الماحي،عبد الرحمن عمر،تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال،مرجع سبق ذكره،ص١٣٢.

[1] .الماحي،عبد الرحمن عمر،تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال،مرجع سبق ذكره،ص١٣٢.

بنحو ثمان وخمسين بندقية ، وعلى طريق اوبانغى دخل مياه نهر جرنجى الذى يلتقى بنهر شاري ، وبعد رحلة طويلة وصل إلى بلدة بوجمان التى تقع على نهر شاري الأعلى ،فأقام فيها لجمع المعلومات ،وبعث ابابكر أحد الجنود السنغاليين برسالة الي عبد الرحمن قورانق سلطان باغرمى في عاصمته [ماسينيا] والذى كان يمتد نفوزه إلي تلك المناطق التى نزل فيها جانتى من بلاد السارا.

المبحث الثالث : سياسة الاستيعاب الفرنسي

تسعى فرنسا في استراتيجياتها الجديدة في مجال سياسة الاستيعاب الثقافي الى توسيع شبكاتها, بحيث وضعت فرنسا يدها على بالانتداب على بعض أملاك المانيا السابقة في افريقيا مثل الكميرون والتوغو وكانت هذه المستعمرات تمثل أهمية كبيرة لفرنسا خاصة الجزائر التي تعد أحد أهم مستعمراتها, فقد كانت تنقل من تلك المستعمرات المواد الغذائية والمواد الخام الزراعية والمعدنية وموارد الوقود والطاقة, كما كانت تمثل سوقا واسعا للمنتجات الصناعية الفرنسية.

كما أن الاستعمار الاستيطاني الفرنسي نصيب عميق في بعض هذه المستعمرات وخصوصا في دول شمال غرب افريقيا, حيث حرصت فرنسا على تغذية شعوب هذه المستعمرات بثقافتها وتمكين فيها اللغة الفرنسية التي صارت لغة هذه الشعوب, وخاصة في مدن هذه المستعمرات وحواضرها.

ولاستمرار الدور الفرنسي في افريقيا, كونت فرنسا رابطة خاصة تبسط من خلالها سيطرتها وهيمنتها الاقتصادية والسياسية والأمنية, وهي رابطت الدول المتحدثة بالفرنسية المعروفة اختصارا ب(الفرنكوفونية), والتي تضم كل من السنغال وكوت ديفوار وتوغو, بوكينا فاسوا, الغابون, كونغو برازفيل، مدغشقر، جزر القمر ، نيجر، مالي ، تشاد..الخ.أم عند تنفيذ آلية السياسة الفرنسية في افريقيا, فشملت ثلاثة آليات أساسية, عسكرية, اقتصادية وثقافية.[1]

[2].رافت جلال ، السياسة الفرنسية في افريقيا جنوب الصحراء ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٤٥ ،٢٠٠١ ، ص٣٧.

ومن العوالم التي أضعفت النفوذ الفرنسي في القارة الأفريقية أيضـــا. التنـــامي اليابـــاني والصيني, وانتشار الصحوة الاسلامية في غرب افريقيا وجنوب الصحراء الكبرى, فعلى صعيد المستوى الثقافي, فرنسا أن تتصدى للهيمنة الانجليزية التي تستخدم فكرة العولمـــة، كما تراها الولايات المتحدة الأمريكية, وهي ذوبان العالم في النموذج الثقـــافي الأمريكـــي الواحد, ومن أهم وسائل فرنسا في ذلك تقوية منظمة الفرنكوفونية بإضافة بعـــض المهـــام السياسي والدبلوماسي لها.

ومع ذلك فان هناك عاملا دوليا مهما ما زال يحسب لمصلحة استمرار الدور الفرنسي في القارة واستعادته لقوته ، ألا وهو الاتحاد الأوروبي الذي يمثل دعامة حقيقية لفرنسا, فهـــي تعد أحد الأعضاء المؤسسين لهذه المجموعة الدولية, كما أن الاستراتيجية الجديدة للاتحـــاد تدعوا الى سياسة خارجية وأمنية مشتركة للدول الأعضاء, ولم يكن هذا الاتجاه واضـــحا قبل تسعينات القرن الماضي, حيث كانت المصلحة الخاصة للدول تقف أحيانا حـــائلا دون شيئ الاتحاد لموقف أوربي موحد, ولكن تغيرات الظروف الدولية في ظل النظام العـــالمي الجديد, دفع الى كثير من الاصلاحات في هذا المجال.

وتميزت السياسة الفرنسية الاستعمارية دون سواها من سياسات الاستعمار الأوربي بأنهـــا كانت تسعي دائما لجعل شعوب المستعمرات جزءا من الثقافـــات الفرنســـية, ظنـــا مـــن الفرنسيين أن مهمتهم في العالم هي ثقافة جديدة كانت فرنسا هي الدولـــة المنشـــئة لهـــا ، وعلى الشعوب المستعمرة أن تخضع لهذه السياسة, لأنها تهدف الى مصلحة هذه الشعوب.

وقد اعتمدت سياسة الاستيعاب الفرنسي في تشاد الى المجالات التالية:-

- المجال السياسي:

بعد أن تمكنت فرنسا من فرض سيطرتها على تشاد حتى أخذت تعيد صـــياغ الأوضـــاع السياسية في البلاد ويطريقة مغايرة للنمط الذي كان سائدا, فرغم أن فرنسا تحالفـــت مـــع بعض الحكام التشاديين, الا أن القوات الفرنسية سرعان ما تنكرت لتحالفها وأزالـــت كـــل الممالك التشادية, وربطت تشاد سياسيا بافريقيا الفرنسية الاستوائية, وعينت مجموعة مـــن

الاداريين للاضطلاع بمهمة الحكم واستبعدت أي عنصر وطني محلي, وعندما استعانت بعناصر غير فرنسية فانها استخدمت عناصر غير تشادية من جزر الهند الغربية وغيرها. فقد كان اعلى درجات الاستيعاب الفرنسي هو صدور دستور الجمهورية الفرنسية الرابعة١٤أكنوبر١٩٥٨م, والذي تقرر بموجبه دمج جميع المستعمرات مع فرنسا الأم, ومنحها حق التمثيل النيابي في البرلمان الفرنسي, ونتيجة لهذه الخطوات تأسست أحزاب سياسية في تشاد وكانت عبارة عن فروع للأحزاب السياسية الفرنسية, وهي[1]:-

- حزب الاتحاد الديمقراطي، بزعامة عربي القوني, والذي كان فرعا لحزب لحزب تجمع الشعب الفرنسي.
- الحزب التقدمي التشادي, بزعامة جبريل ليزيت وفرنسوا تمبلباي.
- الحزب الحركة الاشتراكية الفريقية, بزعامة أحمد غلام الله.

➢ المجال الدستوري:

الغي الاستعمار الفرنسي النظم الدستورية التي كانت سائدة في الممالك التشادية واستعاض عنها بسلطات واسعة منحها للإداريين الفرنسيين, للفصل في المنازعات التي فرض عليها, هذا فضلا عن مسئولياتهم الادارية والعسكرية والمالية, واستمر هذا النظام من عام١٩٠٠حتى عام١٩٥٨م, وذلك عندما صدر القانون الدستور الفرنسي في يونيو عام١٩٥٨م, والذي نظم العلاقات بين الجمهورية الفرنسية والشعوب الأفريقية, ثم صدر في اكتوبر عام١٩٥٨م, دستور الجمهورية الرابعة, والذي نظم ما عرف بالرابطة الفرنسية الأفريقية, وبموجبه صارت جمهورية تشاد في اطار هذه المنظومة ، وذلك في العام١٩٥٨م, وتتمتع بالحكم الذاتي, وحفظت لنفسها بإدارة شؤون الدفاع والسياسة الخارجية والاقتصادية والمالية والمواصلات, وأخذ بمثلها المندوب السامي الفرنسي وبناءا على ذلك صدر أول دستور تشادي عام١٩٥٩م, واعتبر تشاد دولة علمانية ديمقراطية

[1] .الماحي عبد الرحمن، تشاد من الاستعمار حني الاستقلال، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ، مصر ، ١٩٨٢م ، ص١٣٥.

اجتماعية تسير وفق مبادئ العدالة والحرية والمساواة والإخاء, وأصبحت تشاد بذلك تأخذ بنمط دستوري فرنسي.[1]

- المجال القانوني

يعتبر الاستيعاب في المجال القانوني الفرنسي وأهم مؤشرات الاندماج في الثقافة الفرنسية, فقد اعتبر المشرعون الفرنسيون أن قبول الأفريقي الخضوع لقانون الأحوال الشخصية, وخاصة القانون الاسلامي والقانون المدني والجنائي الفرنسي ، هو الفراق الذي يميزه عن الافريقي الذي يرفض الخضوع لهذا القانون, ويتمسك بقانونه الخاص وهو القانون الاسلامي, ولهذا وضع الدستور حدا فاصلا بين الشخصيتين, فالإفريقي الذي يتخلى عن قوانينه أعطي مكانة مواطن, وترتب عن هذه التفرقة ظهور ما يسمى(الأنديجينا), وهي مجموعة الأوامر الادارية والعرفية التي يطبقها الضباط والحكام العسكريون والمدنيون وتنطبق فقط على الرعايا الفريقيين الذين لم يرتقوا الى مستوى التذويب والاستيعاب في البيئة الاجتماعية الفرنسية, ومن ثم فهؤلاء الافريقيون يحاكمون أمام محاكم ادارية خاصة وقانون وعقوبات قاسية تتراوح بين الاعتقال والنفي ومصادرة الممتلكات والاعدام والغرامات المالية الباهظة ، هذا بالإضافة الى أن الافريقي الذي لا يقبل هذا التذويب القانوني لا يتمتع باي ضمان أو حريات أو حقوق سياسية أو نقابية.[2]

المبحث الثاني: أثر المستعمر على نظام الحكم السياسي

نظرا لأن تمبلباي قد مارس العمل السياسي طويلا في ظل سياسة (ليزيت) وتعلم منه دروس الاستراتيجية السياسية فقد استفاد وعرف كيف يحصل في أقل من ٣ سنوات على سلطة مطلقة في البلاد[3].

إلا أنه لم يتمكن من إقامة بناء سياسي وطنية نتيجة المعارضة الشعبية المتزايدة.

---

[1]. الماحي ، عبد الرحمن، تشاد من الاستعمار حتي الاستقلال ، مرجع سبق ذكره، ص١٣٦.

[2]. رافت جلال , مرجع سبق ذكره , ص٣٨

[2]. الماحي ، عبد الرحمن عمر ، تشاد من الاستعمار وحتى الاستقلال(١٩٦٠-١٨٩٤م) ، مرجع سبق ذكره ، ص٢٣٥.

كما أن الاستعمار الفرنسي بسياسته الاندماجية التي فرضها على تشاد لم تترك مجالا للزعماء السياسيين لإقامة بناء سياسي وطني خال من الأغراض الشخصية والنزاعات القبلية.

وقد رأينا الصراعات التي كانت تدور بين الأحزاب السياسية بتوجيه من العناصر الأجنبية الأوروبية التي لا ترتبط مصالحها بمصالح الأمة التشادية.

لقد ورث تمبلباي عن الاستعمار الفرنسي مدة ستين سنة كاملة من ١٩٠٠-١٩٦٠م ضعيفة مفككة الأوضاع تنازعها الأقلية وانشقاقات بين الشمال والجنوب الناتج عن الاختلافات العرقية تعرضت لعوامل ضغط قوية سياسية كانت أم اقتصادية أم دينية. وكذلك التباين في الثقافات والعادات والمعتقدات, فسكان الشمال المسلمون ميالون إلى الحضارة الإسلامية واللغة العربية, وفى المقابل يتخذ السارا سكان الجنوب المسيحيون بقوة الحضارة والثقافة الأوروبية الداخلة, وقد وسع الاستعمار وعمل على تعميق حدة الخلاف بين أبناء الشعب التشادي عن طريق الاهتمام المتزايد بالجنوب على حساب الشماليين.

وقد ولد تمبلباي عام ١٩١٨م بقرية سارا بمقاطعة كمرا التابعة لشاري الأوسط من قبيلة(ماجنقاي), اشترك عام٩٤٧م في تأسيس حزب التقدم التشادي وكان معلما ونشطا بالعمل السياسي والنقابي, وفي عام١٩٥٢م انتخب نائبا للجمعية الوطنية بدائرة شاري الأوسط, ثم أعيد انتخابه عام١٩٥٧م, وفي نفس العام انتخب عضوا في المجلس الأعلى لأفريقيا الاستوائية وأصبح بذلك نائبا لرئيس الإقليم, وفي عام١٩٥٩م كلف بتشكيل حكومة مؤقتة التي سبقت انتخاب الجمعية التشريعية, وفي يوم ١٦يونيوعام١٩٥٩م أصبح رئيسا للوزراء في الحكومة الانتقالية, وكان أمينا عاما للحزب التقدمي التشادي, وأصبح رئيس الجمهورية في١١-٨-١٩٦٠م.

ففي المجال الداخلي بدأ بتوجيه ضربة إلى مجموعة الأحزاب المتحالفة ضد الحزب التقدمي التشادي(PPT)الذي يشغل فيه منصب السكرتير العام, وكانت تلك الأحزاب قد كونت تحالفا تحت اسم الحركة الشعبية التشادية برئاسة/أحمد غلام الله.

كما بدأ بقضاء الأفكار الانفصالية التي تحدد الجنوب بالشمال وإقامة دولتين عضويتين في المجموعة الفرنسية. وبصورة تدريجية بدأ في تصفية العناصر الأجنبية من الفرنسيين السياسيين والإداريين ورجال الأعمال العاملين في البلاد, والذين تعلقوا في صفوف الأحزاب السياسية الوطنية, وحذو في تسييرها وفقا لمصالحهم الشخصية, وبدأ في سلب الاختصاصات من يد ليزيت رئيس الحزب التقدمي وأستاذ تمبلباي الأول الذي تلقى على يده أصول العمل السياسي من خلال نضالهما الموحد في الحزب.[1].

أما في المجال الخارجي عمل على فك تشاد من شبه العزلة المفروضة علها جغرافيا إذ قام في شهر يوليو١٩٥٩م بتوقيع اتفاقية مع كل من مندوبين في أفريقيا الوسطي والغابون ينمي هذا الاتفاق على إقامة اتحاد دول أفريقيا الاستوائية الفرنسية مع احتفاظهما بعضويتهما في المجموعة الفرنسية وإقامة اتحاد جمركي يشمل هذه البلدان وأيضا وكالات نقل موحدة عبر موانى (بوانت نوار) وبرازافيل ومد سكة حديدية من الكونغو إلى المحيط, وإنشاء مكتب للبريد والمواصلات السلكية واللاسلكية وإنشاء معهد للبحوث الجيولوجية, ومحطة إذاعة مشتركة وإقامة نظام مصرفي موحد بالاشتراك مع الكميرون والحكومة الفرنسية.

وفي يوم١٨مايو١٩٦٠م قررت كل من تشاد وأفريقيا الوسطي والكونغو نقل كل الاختصاصات من المجموعة الفرنسية كرسم سياسة خارجية ومالية ودفاع لكن هذه الدول واجهت مشكلة الاختلاف على عدد الوفود التي ستمثل كل دولة وأخيرا تم الاتفاق على استقلال كل دولة على حدة.[2]

المبحث الرابع : الآثار التي ترتبت على الحياة السياسية

المطلب الأول : الأثر السياسي

حتى عام ١٩٤٦م, لم يكن هنالك مجلس نواب يدافع عن حقوق المواطنين بل كان هناك فقط مجلس خاص يتكون من الأعيان والنبلاء ويعاون الحاكم في بعض الأعمال التي تتعلق بالمسائل المالية والقضائية, وكان عددهم حوالي ١٢عضو من بينهم سلطان المدينة

[1]. المرجع السابق ، ص٢٣٥.

[1]. الماحي ، عبد الرحمن عمر، تشاد من الاستعمار وحتى الاستقلال(١٩٦٠-١٨٩٤م) ، مرجع سبق ذكره ، ص٢٣٩.

وقاضي قضاتها, وإمامها, ورؤساء التجار وبعض الوجهاء وليس لأعضاء المجلس أي صلاحيات سوى الاستشارة.

فقد كان رئيس الإقليم هو وحده صاحب السلطات التنفيذية.

هذا ومن ناحية أخرى فان المواطن التشادي لم يجد حتى عام١٩٥٦م فرصة مشاركة الإدارة الفرنسية في حكم البلاد, والوظائف ذات المراكز الهامة فيها, بل كانت مشاركته قاصرة على الوظائف الحكومية البسيطة القائمة على مصلحة التربية والتعليم ومصلحة الصحة والمالية, ولا يتجاوز عددهم في الفترة من ١٩٤٦-١٩٥٦م عن ٧٠٠مواطن موظف مدني, بينما يبلغ عدد الفرنسيين الذين يعملون في الإدارة الحكومية من الفنيين والإداريين والمهندسين في فترة ١٩٤٦الى١٩٦٠م حوال١٢٠٠موظف مدني.

هذا بالإضافة إلى عدد كبير من الكاميرونيين والتوغوليين والسنغاليين الذين تأتي بهم الإدارة الفرنسية للعمل في الشركات والبنوك والدوائر الحكومية المختلفة.

والجدير بالذكر أن كافة الحكام الفرنسيين الذين حكموا تشاد خلال الفترة من عام ١٩١٨-١٩٥٨م قد سعوا إلى التسلط والاستغلال والعمل على جمع الثروات والتمهيد للدخول في معترك الحياة السياسية كما فعل(رينيه مالزيت)في الفترة من ١٩٤٥-١٩٥٦م وروجي من ١٩٥١-١٩٥٤م.

وقد نجح بعضهم في الوصول إلى السلطة السياسية بعد نهاية الحرب. ويعتبر عام١٩٤٦م هو تاريخ التطور السياسي ونشأة الأحزاب السياسية في البلاد.[١]

وقد كان البرلمان الفرنسي يصدر التشريعات الخاصة في هذه الأقاليم وترك التفاصيل يطبقها حاكم الإقليم, وإذا كانت هناك استفسارات بشأن هذه التشريعات فإنها تتم في باريس عن طريق الحاكم العام.

وقد شهدت حكما فرنسيا مطلقا, إذ اعتبرت السكان رعايا فرنسيين وإلقاء النظام التقليدي ووضع الجمارك التي تكفل له نظام الاحتكار, كما قطع الاتصالات بالعالم الخارجي, ولم يسمح للسكان بمداولة إي نشاط سياسي أو ثقافي.

[١].المرجع السابق ، ص٧٠-٨٧.

وبع ذلك قسمت البلاد إلى مقاطعات بحيث لا يخرج المواطن من مقاطعة إلى أخـــرى إلا بتصريح, وهذا الإجراء قد يكون وسيلة غير مباشرة لدفع السكان إلى الاســتقرار وعــدم الارتحال, إلا أنه من جهة أخرى قد كان سببا من أسباب التوتر بين الســكان وســلطات الاحتلال.[١]

وقد قامت السياسة الفرنسية في تشاد على فكر الاندماج أي انتماء الشعب التشادي للمجتمع الفرنسي تدريجيا, ويترتب على هذا الفكر مس الحضارة والتقاليــد ا تشــادية وتــرويض التشاديين ليكونوا شكلا ومضمونا كالمجتمع الغربي.

وقد مرت تشاد بفترة لم تملك فيها جيشا وطنيا بسبب خضوع الإدارة التشادية للفرنســيين, فقد أعد الفرنسيون جيشا للبلاد ويدافعون به عن أنفسهم ســواء مــن القــوى الخــارجي والحركات الداخلية المناوئة لإدارتهم الاستبدادية, واستعملوا جميع أساليب القهر والعنــف في هذا الجيش خاصة بعد أن أيقن التشاديون أنهم يجندون ويحاربون ليس للــدفاع عــن وطنهم, وإنما لحماية دولة مستعمرة من أعداءها ورفضوا الانخراط في هذا الجيش.

و قد أثبت الذين اشتركوا في القتال شجاعة نادرة, لكــن المســتعمر لــم يرفــع مســتواه العسكري إلى قادة أو ضباط، بل أحالهم إلى التقاعد وأعمال الترجمــة الشخصــية بعــد الحرب العالمية الثانية بحجة أنهم لا يعرفون القراءة والكتابة.

المطلب الثاني: الأثر الاجـــــتماعـــــــــي

عرف سكان تشاد الاستقرار منذ فترة طويلة خاصة بعد قيام مملكة كانم وباقر مي ومملكة وداي, حيث كانت منطقة تشاد تضم مجموعة من القبائل والشعوب, وهذه الشعوب والقبائل تختلف وتتباين أشدها يكون الاختلاف والتباين في اللغة والدين والعادات والتقاليد, ويقــدر عددها بحوالي ١٥٠قبيلة تتحدث ب١٠٠لهجة محلية، وكل لهجة من هذه اللهجات ذات قيمة جوهرية للمتكلمين بها.

ويقوم البناء الاجتماعي التشادي على ثلاث أسس رئيسية هي: وحدة الدم – وحدة الجماعة –التدرج الطبقي ، وفيها يتألف بالوحدة الاجتماعية سواء على مستوى القبيلة أم فروعهــا,

[٢]. الماحي ، عبد الرحمن عمر، المجتمع التشادي في عهد الاحتلال الفرنسي من١٩١٨-١٩٦٠م, القاهرة١٩٩٧ ، ص : ١٣٦-١٣٦.

أفخاذ بطون ، بدنات ، إن التضامن بين أعضاء القبيلة الواحدة مطلق وغير محدود, ويتمثل في احترام الفرد للواجبات والالتزامات القرائبية والقبلية. وفي القبيلة تقوم روح الجماعة ويقوى شعور الانتماء إليها ، واستمر ذلك في نفس المنوال إلى حين قيام الأحزاب السياسي بفاعل من المستعمرات على أساس قبلي وعرقي وديني وكانت سببا في فك تلك الترابط وقامت بعضها حروب أهلية واستمرت لفترة طويلة مخلفة معها خسائر اقتصادية سلبية فاضحة وأمور أخرى لم تكن في الحسبان.[١]

المطلب الثالث : الأثر الاقتصـــــادي

لقد تركت الأوضاع السياسية في تشاد العديد من الآثار السلبية على مستوى الاقتصاد القومي مما جعل ذلك يكون عائقا كبيرا أمام برنامج التنمية التي تسعى إليها البلاد الوصول إليها في أقرب وقت ممكن, وقد بدأت الصراعات السياسية التي هي نتاج قيام الأحزاب السياسية والتعددية الحزبية التي سادت البلاد منذ منتصف القرن ال٢٠والتي قامت على أساس التالي:

١. التعددية الحزبية القائمة على أساس المصلحة الشخصية والعمالة بالتنسيق مع الدولة المستعمرة.
٢. الانتماء القبلي والطائفي للأحزاب السياسية.
٣. قيام الأحزاب السياسية على أساس المصلحة الشخصية وحب السلطان والسيادة كأساس.
٤. قيام أغلب تلك الأحزاب على أساس أيدلوجيات وأفكار غربية فرنسية غير واقعية مع الواقع السياسي.
٥. تجاهل واقع وثقافات وعادات المجتمع من قبل الساسة.
٦. نسيان الواجب الوطني في الإخلاص السياسي القائم على أساس الوطن قبل كل شي, ومصلحة الوطن والمواطنين فوق كل شيء.

[١]. الماحي, عبد الرحمن عمر, تشاد من الاستعمار وحتى الاستقلال , المرجع السابق,ص٨٧.

ومن الملاحظ من أسباب الصراعات السياسية التي قامت في أقطار الساحة السياسية, قد أدت إلى العديد من الآثار السلبية على مستوى الاقتصاد الوطني.

وتتمثل تلك الآثار في:- [1]

- تدمير البنية الاقتصادية التي كانت قائمة قبل الاستعمار والتي كانت تعتمد على الزراعة الحيوانية والنباتية والتجارة المحلية والخارجية مع كل من السودان ونيجيريا وبعض من دو الخليج وتركيا. بعدما اعتمدت على السياسة والقبلية والحروب الأهلية والانتماءات الدينية بسبب سياسة المستعمر القائم على أساس فرق تسود.
- تجاهل مستقبل البلاد الاقتصادي القائم على التخطيط والإستراتيجية والاستقرار بسبب المستعمر الذي شغل القادة التقليديين واستغلهم هم وبقية الشعوب في الحروب وأغراضه السياسية.
- اعتماد عائدات الدولة على الضرائب والتي كانت في البداية ضرائب الرؤوس على الرجل والمرأة.
- تضليل المعلومات الخاصة بالموارد الطبيعية من قبل المستعمر أملا منه في أن هذه الموارد له هو المستعمر, ويبقي كمخزون احتياطي له.
- ارتباط العملة الوطنية بالفرنسية ارتباطا كاملا كنوع من الاستعمار الاقتصادي بعد الاستقلال.
- سوء الإدارة الاقتصادية واستعمال العنف مع المستثمرين وزيادة الضرائب على الأفراد والماشية.[2]

---

[1]. بشير، محمد عثمان, من سلبيات المستعمر الفرنسي على المجتمع التشادي, بحث منشور بتاريخ١٢-١٥-٢٠١٤م على موقع صحيفة توماي www.toumaijournalt.com,ص١-٢

١٧.الماحي, عبد الرحمن عمر, تشاد من الاستعمار وحتى الاستقلال ، مرجع سبق ذكره ، ص٢٣٣.

المطلب الرابع : الأثر الـــــثقـــــافـــــــــــــي

لقد كان المجتمع الافريقي قبل الاستعمار له عاداته وتقاليده وثقافاته المثلى, وتختلف تلك الثقافات والعادات من منطقة لآخر وقبيلة لآخر, إلا أن تلك المجتمعات كانت تتبادل في الثقافات والعادات باحترام الآخر ثقافة الآخر, وبعد مجئ المستعمر استطاع تقسيم البلاد إلى جنوب وشمال وفرقهم على أساس ديني وعرقي وطائفي وزرع فيما بينهم كراهية الأعداء وسبب ذلك في خلق أحزاب سياسية عند بداية قيام الأحزاب السياسية, فقامت تلك الأحزاب على أساس عرقي وديني وقبلي وطائفي إقليمي, ومعها ثقافات أوروبية وأخرى لم تكن مألوفة في الساحة الثقافية التشادية.

فأثرت تلك في حياة المجتمعات وزرعت في قلوبهم ثقافة الكراهية والقبلية والعرقية وسببت ذلك مشكلة كبرى كانت سببا في الحروب الأهلية التي سادة البلاد منذ تلك الزمان إلى يومنا هذا.

وأثر ذلك في واقع الثقافات التشادية واندثر ثقافة التسامح في قطاع الجنوب إذ يحظي بانحياز تام من قبل المستعمر وبين مختلف قبائل الشمال التي وقعت في نفس الفخ الخطير هذا وكان ما حصل ولم ينتهي إلى حين ذلك وما زال آثاره باقية إلى هذه اللحظة.

أما أهم تلك المجالات التي أثرت فيها بشكل ملفت تتمثل في:-

- مجالات الثراث الثقافي (التمثيل – الرقصات الشعبية – الفـــن المحلـــي – ثقافـــة التآخي والتكاتف والوحدة وعدم الخلافات ...)

- سياسة الاستيعاب التي قامت بها فرنسا لطمس الهويـــة التشـــادية, وتتمثـــل فـــي عزوف بعض المثقفين بالفرنسية عن تعليم أبناءهم اللغة العربية التي تعد لغـــتهم الأصيلة. وسعت الإدارة الفرنسية إلى تنشيط روح العـــداء والصـــراع الثقـــافي واللغوي بين أبناء تشاد والذين لم يزل أثرهم موجود إلى يومنا هذا.
- محاربة الثقافة العربية والإسلامية بتشاد.
- إضعاف الروح الوطنية وقتل المثقفين وتشريدهم.

- تعميق الثغرات القبلية والإقليمية والدينية .
- إهمال التنمية بالبلاد.
- التشكيك بالتراث الوطني المحلي.[١]

وهذه الاستراتيجيات ترتب عليها نتائج عكسية أدت إلى عزوف المسلمين عن تعليم المناهج الفرنسية الرسمية حماية لدينهم وثقافتهم وشخصيتهم.
حيث يعتبر تدريس اللغة العربية في المدارس الرسمية مكسبا وطنيا ولكنه أحيط بسياج يجعله عقيم النتائج, بل الأخطر من ذلك أن هذا السياج ولد أثرا عكسيا في النشء التشادي أصلا يجعله لا يغير على تقسيم اللغة العربية, وأيضا أنه غير منشرح في نفسه وعقد إزاءها فصار يخشاها ويحترمها في الوقت نفسه.
وتتلخص أهداف الإدارة الفرنسية من كل هذه في الآتي:-[٢]

١. توحيد الأمن والاستقرار للمواطنين الفرنسيين.
٢. جمع الضرائب والإتاوات من الماشية والأفراد.
٣. نشر الثقافة الفرنسية في كافة الأراضي التشادية.
٤. تدمير الشخصية الوطنية.
٥. محاربة الثقافة العربية الإسلامية.
٦. تأكيد السيطرة الفكرية والاقتصادية في البلاد.

[١]. الماحي, عبد الرحمن عمر, تشاد من الاستعمار وحتى الاستقلال , المرجع السابق, ص١٣٧.
[١].آدم هذى المهدي ،الاستعمار الفرنسي في تشاد, ١٩٤٥-١٩٦٠م, السلبيات والايجابيات, بحث تخرج متريز غير منشور, جامعة الملك فيصل٢٠١٠م.ص٣٧.

خلاصة البحث

من خلال ما سبق توصلت إلى الآتي:

١. إن المنظومة السياسية في تشاد كانت في البداية السياسية أحزاب تبعية ليس لهـا هدف واضح ومحدد.
٢. كما إن تتبع تاريخ بداية الحياة السياسية والأحزاب السياسية في تشاد يلاحظ عدم قدرة هذه الأحزاب السياسية وعدم فاعليتها في النضال ضد الاستعمار الفرنسـي في تشاد وذلك لعدة عوامل.
٣. عدم وجود اتجاه سياسي و فكري واضح لهذه الأحزاب السياسية التي نشأة نتيجة لظروف سياسية تخص القوي الاستعمارية وتخدم مصالحها.
٤. لم يكن للمنظومات السياسية برامج التوعية الجماهيري والتثقيف السياسي.
٥. ظلت معظم تلك الأحزاب تلك الأحزاب التشادية ترزح تحت تأثير القبلية .

توصيات

من خلال ما سبق يمكننا أن ونصي بالآتي:

- إن كل من يدير كيان سياسي وله هدف وطني واضح يمكنه أن يأتي على سدة الحكم بإذن الله وبإرادة شعبية.
- على المجتمع الافريقي إدراك حقيقة الحياة السياسية في تشاد وعدم الوقوع في فخ برامجه المصلحي الخاص.
- على المجتمع الافريقي التحرك والنضال من أجل السياسة الرشيدة القائمة على أساس الوطن والمجتمع قبل كل شيء.

المصادر والمراجع

١.آدم هذى المهدي ،الاستعمار الفرنسي في تشاد, ١٩٤٥-١٩٦٠م, السلبيات والايجابيات, بحث تخرج متريز غير منشور, جامعة الملك فيصل٢٠١٠م

٢.بشير، محمد عثمان, من سلبيات المستعمر الفرنسي على المجتمع التشادي, بحث منشور بتاريخ١٢-١٥-٢٠١٤م

٣.الجمل ،شوقي الجمل ،تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها ، مكتبة الانجلو المصرية،١٩٧١م

٤.رافت جلال ، السياسة الفرنسية في افريقيا جنوب الصحراء ، مجلة السياسة الدولية ، العدد ١٤٥ ،٢٠٠١

٥.شلبي،أحمد شلبي،موسوعة التأريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ،ط ١٩٨٥م ج ٦

٦.الماحي ، عبد الرحمن عمر، المجتمع التشادي في عهد الاحتلال الفرنسي من١٩١٨-١٩٦٠م, القاهرة١٩٩٧

٧.الماحي عبد الرحمن، تشاد من الاستعمار حني الاستقلال، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة ، مصر ، ١٩٨٢م

٨.موسى ، فيصل محمد ، موجز تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، منشورات الجامعة المفتوحة ،١٩٩٧م

٩. نور ، محمد زين محمد،الاستعمار الفرنسي واثره على الشخصية الإسلامية في تشاد، رسالة ماجستير، (جامعة افريقيا العالمية ،السودان) مطبعة جامعة إفريقيا العالمية